مجلة الرائد

العدد : ٢٣٢ الموافق في رمضان ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/١٢ ميلادي

عنوان المقال : وماذا بعد أفغانستان ؟	الكاتب : صلاح الدين بن ابراهيم

ذكرت في العدد الماضي من الرائد الغراء أن الحملة الأمريكية على أفغانستان تهدف إلى تحقيق أربعة أهداف رئيسية ، وهي : « ----------

١- امتصاص الغضب الشعبي داخل أمريكا .

٢- رد الاعتبار إلى الهيبة الأمريكية التي تستند إليها أمريكا في إخضاع الشعوب .

٣- توفير وجود مباشر في منطقة توحي « الدراسات الاستراتيجية » بأنها ستكون مصدراً هاماً للطاقة النفطية والغازية في قابل الأيام ، وتخشى أمريكا - والشركات العملاقة - من هيمنة قوى مناوئة لها كالصين وروسيا على هذه الثروة الهائلة ، مما ينذر بتقليص النفوذ الأمريكي عالمياً .

٤- توجيه ضربات نفسية وعسكرية للتيارات والتنظيمات الداعية إلى التحرر من الهيمنة الاستعمارية .

»----------

وقد حققت القوية الأمريكية الهائلة قسطاً كبيراً من الهدفين الأول والثاني ؛ فقد شعر كثير من الأمريكان أن حكومتهم قد ثأرت لحادثي نيويورك وواشنطن ، ولم يبق إلا مطاردة بقايا طالبان والقاعدة وإلقاء القبض على قيادات الحركة والتنظيم . وحملت صور الدمار الهائل والضحايا المدنيين رسالة إلى الدول التي تتهمها أمريكا بالإرهاب ورعايته وإيوائه ، بل وإلى دول العالم الثالث : تحذرهم من التعرض لأمريكا ومصالحها ، وإلا فإن مصيرهم لن يكون بعيداً عما آلت إليه أفغانستان وطالبان !! .

أما الهدف الثالث فما يزال الوقت مبكراً للحكم على مدى نجاح أمريكا في تحقيقه ، وستضطر أمريكا إلى مناورات سياسية واقتصادية ، وربما عسكرية ، من أجل التفاهم مع قوى المنطقة ، وفيها قوتان دوليتان هما : روسيا والصين ، وقوى إقليمية لها مصالح حيوية عندها وقدرة على التحرك داخل أفغانستان ، ويأتي في مقدمتها باكستان وإيران والهند . وقد برز دور عدد من هذه القوى في مؤتمر " بون " الذي ضم أربع مجموعات ، وكان يقف وراءها بقوة : **أمريكا** (**جماعة الملك ظاهر شاه**) **وروسيا والهند** (تحالف الشمال) **وإيران** (وفد قبرص) **وباكستان** (وفد بيشاور) .

ويبقى الهدف الرابع : « توجيه ضربات نفسية وعسكرية للتيارات والتنظيمات الداعية إلى التحرر من الهيمنة الاستعمارية » سيفاً مصلتاً ، تهدد به الإدارة الأمريكية كل من يرفض نموذجها ، واستغلالها ، ويختلف معها في طريقة تحقيق المصالح وحدودها .

وهنا نود الكلام في قضية أساسية ، ونطرحها على النحو الآتي :

منذ سنوات وأمريكا تصنع ثقافة عالمية من خلال بث مصطلحات كريهة منفرة ، وهذه المصطلحات موجهة إلى المسلمين وحركاتهم الفكرية والتحريرية ، أو ما نسميه بحركات التجديد والنهوض . ولم تتوقف الدراسات الراصدة للحركة الفكرية في العالم الإسلامي ، والتي توصلت إلى أن الإسلام هو مصدر التنوير والتحرير في البلاد الإسلامية ، وأن الفكر الإسلامي يرفض الاستبداد المحلي الذي يمارسه معظم حكام العالم الإسلامي ، ويرفض في الوقت ذاته الاستبداد العالمي ، وبدلاً من أن يدفع هذا الاستنتاج عدداً من المفكرين إلى دراسة قيم الإسلام ، وامتحان قيم الحضارة الغربية ، من أجل التعرف بإخلاص إلى مجالات الاتفاق والافتراق ، ثم دراسة مجالات الخلاف بتجرد سعياً إلى الأخذ بالأفضل من القيم ، إذا بعدد من هؤلاء يخوِّفون من التجديد الإسلامي ، ويباشرون حملة التشويه للحركة الإسلامية التجديدية والتحريرية ، ومن ذلك رميهم بـ " الأصولية " و " التطرف " و " الإرهاب " و " الإسلامية " !! . وأصبحت هذه المصطلحات ملازمة للمسلمين الملتزمين بالإسلام !! .

ونظراً لكون الغرب يمتلك في هذه المراحل التاريخية وسائل تأثير هائلة .. فقد سخرها ، وبأساليب متعددة ، للنيل من الإنسان المسلم ، والعربي بشكل خاص ، وترسبت في لا وعي الشعوب الغربية صورة سلبية عن المسلمين والإسلام . وصدر عن رجال سياسة وفكر ودين تصريحات تزدري المسلمين وترى أن " الخطر الأخضر " هو العدو القادم !!

رفضت تيارات التجديد الإسلامي والنهوض الحياتي نزوع جهات غربية نحو العدوان ، وطالبت بأمور يأتي في مقدمتها :

١- احترام الإسلام والكف عن تشويه المسلمين .. من أجل تفاهم وتعاون بين الأمم والحضارات .

٢- التخلي عن سياسة الهيمنة والاستغلال والإذلال وفرض التخلف على المسلمين .. من أجل توفير مناخ من الندية والثقة وتحقيق المصالح المشتركة وفق موازين العدل .

٣- التوقف عن تبني ودعم المعتدين على أرض المسلمين ودمائهم وأعراضهم وكراماتهم .. كما هو الحال في مأساة العصر " فلسطين " .. من أجل بناء المودة والبحث عن حلول عادلة للأزمات بين البشر .

فالمسلمون ، ويأتي في طليعتهم تيارات التحرر الوطني والنهوض والتقدم ، يرون الغرب ظالماً لهم ، محارباً لدينهم وثقافتهم وحضارتهم ، ومؤيداً للعدوان عليهم .. وهم يدعونه إلى الحوار والتفاهم والاحترام المتبادل والتعاون على ما فيه خير البشر ، وإلى حل الخلافات وفق المواثيق الدولية .. **ولكنه يأبى !!** .

والذي ذكرناه كان قبل زلزال ٢٠٠١/٩/١١م والذي راح ضحيته بضعة آلاف من الأبرياء !! ، وقد أدان من يُعتد برأيه من المسلمين الذي وقع في نيويورك وواشنطن منذ اللحظات الأولى ، بصرف النظر عن جنسية ودين الفاعلين ، وفوجئ المسلمون على امتداد الأرض بعد ساعات من الحادث الجلل (!!) أنهم متهمون بالذي وقع ، وأن العرب منهم يحملون وزر التفجيرات ، وانتشر الخبر كالنار في الهشيم ، ونزلت جهات متعددة بخلفيات متنوعة إلى ميدان الهجوم على الإسلام والمسلمين ، واستخدمت مكرها في بث الكراهية وتحريض العدوانية ، وساعد على هذه الكراهية عبارات تحمل الحقد التاريخي ، كـ " الحرب الصليبية " ، وحصلت اعتداءات على المسلمين ومؤسساتهم ، وهنا هبَّت المؤسسة السياسية الغربية مدعومة بالمؤسسات الاجتماعية تندد بالاعتداء على المسلمين ، وتناشد الغربيين بضرورة التفريق بين الإسلام دين الرحمة والتسامح والمسلمين من جهة وبين من ينتمون إلى الإسلام والمسلمين ولكنهم مخطؤون !! وتمكَّن هؤلاء من تهدئة الأحوال الآن .

وبمرور الأيام اعتبرت الإدارة الأمريكية المعلومات التي توفرت لديها كافية لإدانة من اتهمتهم بالوقوف وراء الحوادث الأليمة ، وقررت إعلان الحرب على الإرهاب ومن يدعمه أو يؤويه ، وقررت توجيه ضربة ماحقة لأفغانستان إن هي رفضت تسليم من تراهم مسؤولين عن التفجيرات ، وأعلنت أن أول خطوات حربها ستكون في أفغانستان ، وأن حربها ستشمل دولاً ترعى الإرهاب وتمنحه مأوى ومعسكرات .

وبدأت دوائر القرار الأمريكي تعد مخططاً تبين منه أنها تستهدف ضرب التيار الإسلامي الواعي ، وتصفية حركات التحرر ، وتفكيك البنية التحتية للعمل الإسلامي الخيري ، ولتبرير هذه الهجمة زعمت أن المدارس الدينية ، ومناهج المؤسسات الإسلامية تقدم مادة تربوية توفر أرضاً خصبة للإرهاب ، وأن الذين يحملون السلاح لمواجهة محتل غاشم والدفاع عن الكرامة والعرض والأرض والمقدسات إرهابيون ، وأن الذين ينشطون في العمل الخيري يدعمون الإرهاب بشكل غير مباشر ، إذ يوفرون لذوي المقاومين والمجاهدين والشهداء الطعام والتعليم وما يحتاجون ، وهذا من شأنه أن يدفع الثائرين إلى التضحية والمغامرة ، و... و...

ووضعت أمريكا وحلفاؤها دول العالم العربي والإسلامي أمام خيارات صعبة :

- إما أن يرفضوا قراءة أمريكا للواقع وتصنيفها للتيارات الفكرية وحركات المقاومة .. وهذا يعني أنهم سيعرضون أنفسهم لغضب أمريكا وعقوبتها !

- وإما أن يوافقوها فيما تذهب إليه ، ويستجيبوا لبرنامجها .. وهذا سيفجر الأوضاع داخل كل قطر يتنازل عن حقه في الفهم وفي العمل بما يتفق مع المبادئ الإنسانية والمعايير الدولية .

وتستعدي أمريكا وحلفاؤها المسلمين ، وتياراتهم الفكرية وحركاتهم التحريرية :

- حين تشعرهم بأن من حقها أن تحدد لهم " الإسلام المقبول " و " الإسلام المرفوض " .
- وحين تفرض عليهم معاييرها في الحسن والقبيح ، والصواب والخطأ ، والحق والباطل .
- وحين تطالبهم بترك حقوقهم المشروعة ، وتستخدم ما تسميه " الشرعية الدولية " لتزوير الواقع ، وتعاديهم إذا أصروا على حقهم في الحرية ، وتقرير المصير ، وطرد المحتل الغاشم ..

عنوان المقال : وماذا بعد أفغانستان ؟	الكاتب : صلاح الدين بن ابراهيم

إن علاقة المسلمين مع الغرب في هذا المجال يعبر عنها قول د. عبد اللّه الحامد :

لنا خُلقٌ وللإفرنج خلقٌ أيفرض دينه حتى ندينا ؟!
لنا مُثُلٌ وللغربي مُثلٌ وما كلُّ الحضارةِ من «أثينا» !
لنا حُلمٌ وللغربـي حُلــمٌ أيقتلُ حُلمَنا الحلوَ الجنينـا ؟!

إن المسلمين يشعرون من قبل كارثة ٢٠٠١/٩/١١م أن أمريكا لا تنصفهم ، وأنها وحلفاءها ينالون من حريتهم وكرامتهم وثرواتهم وأعراضهم ، ويمارسون تجاههم صنوفاً من الازدراء والتشويه والاستغلال ، ويفرضون عليهم أوضاعاً تسهر على استمرار ضعفهم وتخلفهم ..

والذي ترومه أمريكا اليوم سيترك آثاراً في النفوس ، وسيولد مواقف متعددة ومتباينة ، ولكنها تشترك في رفض هذه الاتهامات ، وفي المطالبة بالعدل والإنصاف والتخلي عن هذه القراءة الخاطئة للإسلام والمسلمين ، وفي دعوة المجتمع الدولي إلى التعاون الجاد من أجل دراسة أسباب الأزمات الإقليمية والعالمية ، والتعاون على توليد الحلول المنصفة من خلال مؤسسة أممية لا تخضع لدولة أو مجموعة دول .

إننا نحذر من الاستمرار في سياسة تخويف المسلمين ، واستباحة حرماتهم وديارهم ، وندعو إلى تعامل كريم مع أمة الإسلام ، وعندئذٍ سترى الدنيا نهضة للمسلمين ومشاركة بناءة في قيادة البشرية نحو السلام والخير - لِمَ لا وهم أتباع من قال اللّه تعالى في وصفه : { **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** } [الأنبياء : ١٠٧].